مشكلات الترجمة والتعريب

التي تواجهها الثقافة العربية

الدكتور عبد الكريم اليافي

جاء في كتاب « الفهرست » لابن النديم « أن المأمون رأى في منامه كأن رجلاً أبيض اللون ، مشرباً حمرة ، واسع الجبهة ، مقرون الحاجب ، أجلح الرأس ، أشهل العينين ، حسن الشمائل ، جالس على سريره . قال المأمون : وكأني بين يديه قد ملئت له هيبة . فقلت : من أنت ؟ قال : أنا أرسطاطاليس . فسررت به ، وقلت : أيها الحكيم أسألك ؟ قال : سل . قلت : ماالحسن ؟ قال : ماحسن في العقل . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ماحسن في الشرع . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ماحسن عند الجمهور . قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم لاثم... فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب . فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون . فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ مايختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم . فأجاب إلى ذلك بعد امتناع . فأخرج المأمون لذلك جماعة ، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلماً[1] صاحب بيت الحكمة وغيرهم . فأخذوا مما وجدوا مااختاروا . فلما حملوه إليه أمرهم بنقله . فنقل . وقد قيل : إن يوحنا بن ماسويه ممّن نفذ إلى بلاد الروم . »

ويخيّل إلينا اليوم أن كل مسؤول عن الثقافة في البلاد العربية إذا كان صادق المسؤولية يرى على مثال الخليفة العباسي العظيم في منامه بل

---

(١) هكذا في الأصل ، وله وجه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

في يقظته أيضاً أطيافاً مثل طيف أرسطاطاليس لعلماء وفلاسفة وأدباء أجانب مشهورين فتأخذه الرغبة في نقل كتبهم وآثارهم إلى العربية وبذل الأموال الطائلة في سبيل ذلك .

نعم ! لقد كثر العرب المهتمون قديماً بكتب اليونان في الفلسفة والهندسة والموسيقى والحساب والطب وبترجمتها وتعريب مصطلحاتها كما اهتموا بتراث الفرس والهند والمصريين القدماء وغيرهم وبذلوا في ذلك الجهود والرغائب ، حتى توطدت عندهم أركان العلوم المختلفة ، وزادوا فيها وتوسعوا حتى أتوا فيما بعد بالمبتكرات والأعاجيب . وكان ذلك نعمة كبيرة على الانسانية جمعاء لأن تسلسل تلك العلوم والفنون لم ينقطع ، بل استمر معينه زاخراً وفياضاً غمر بعد قرون بلاد أوربة التي تلقفته أيّ تلقف وكانت وريثة الحضارة العربية الاسلامية .

ومن المناسب في مستهل هذا الحديث أن نحدد معاني بعض الألفاظ التي نستعملها ولاسيما لفظ التعريب فله في اللغة العربية معان عدة شأنه في ذلك شأن الألفاظ في مختلف اللغات .

نحن هنا نستعمل التعريب بمعنيين : الأول أخذ اللفظ أو المصطلح الاجنبي وإخضاعه للأوزان العربية . فالأصل أجنبي ولكنه يقدُّ ماأمكن على قياس عربي . ولكن هذا المعنى تدرج وتوسع فأصبح يطلق على ترجمة النصوص الأجنبية ونقلها إلى العربية ، وكذلك على تعليم العلوم الأجنبية الحديثة بالعربية وهذا هو جملة المعنى الثاني .

ولما عمد العرب قديماً إلى النقل والترجمة طالعتهم مفردات كثيرة في العلوم التي عالجوها وترجموها فوجدوا في اللغة العربية مَعِيناً ثرّاً ، واستطاعوا أن يجدوا لكل مصطلح ما يقابله فيها . ولكنهم كانوا يترددون أحياناً في العثور على اللفظ الدقيق المناسب فلم يمنعهم ذلك من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

استعمال اللفظ اليوناني أو الأجنبي . بل إن بعضهم قد أسرف نسبياً في استعمال تلك المصطلحات بألفاظها الأجنبية ، فبقيت تلك الألفاظ الأجنبية حجباً صفيقة دون شفوف معانيها ووضوح دلالاتها للراغبين في دراسة العلوم والفلسفة . حتى إن أبا الريحان البيروني في مستهلّ كتابه « تحديد نهايات الأماكن » يندّد باستعمال الباحثين والمترجمين لبعض الألفاظ اليونانية التي دخلت أول الأمر كتب المترجمين الأوائل والتي تداولها هؤلاء ليهوّلوا بها على الناشئة دون أن يستعملوا اللفظ العربي المقابل لها . فهو يقول : « ونحن نراهم يستعملون في الجدل وأصول الكلام والفقه طرقه (طرق المنطق) ولكن بالفاظهم المعتادة فلا يكرهونها . فإذا ذكر لهم إيساغوجي وقاطيغورياس وباري أرمينياس وأنولوطيقا رأيتهم يشمئزون عنه و (ينظرون اليك نظر المغشيّ عليه من الموت) (٤٧ ـ ٢٠) وحقّ لهم فالجناية من المترجمين إذ لو نقلت الأسامي إلى العربية فقيل كتاب المدخل والمقولات والعبارة والقياس والبرهان لوجدوا متسارعين إلى قبولها غير معرضين عنها . »

من قول البيروني هذا نستخلص لزوم التعبير العربي المبين عن التصورات الأجنبية بغية الوضوح والتفهيم والإفادة . ولقد استطاع النَقَلَةُ في الحضارة العربية الإسلامية أن يذللوا عقبات المصطلحات الأجنبية وأن يجدوا مقابلاتها العربية وأن يعالجوا القضايا الفكرية فلسفية وعلمية معالجة دقيقة واضحة شفافة ، حتى إن أبا الريحان البيروني نفسه قد كتب في مقدمة كتابه « الصيدنة » فقرات اشتهرت لابد من ذكرها تنويهاً بطواعية اللغة العربية وحسن بيانها وقرب مآخذها ويسر صنوف الاشتقاق فيها . يقول : « وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلّت في الأفئدة ، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأوردة ، وإن كانت كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع ألآفها وأشكالها . »

ويستبين من النص طواعية اللغة العربية وأن العلوم أنفسها لما نقلت إليها ازدادت جمالاً ورونقاً ودقة وطلاوة وذلك لمزاياها المتعددة .

لهذه المزايا العديدة من طلاوة ودقة ورونق وجمال وغير ذلك لما أراد الغربيون ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية في إبان نهضتهم وذلك في غضون القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين شعروا بالوهن والعجز عن محاكاة العرب ومضاهاتهم في البيان والكتابة والعلوم . ندرك حالتهم النفسية تلك من خلال الفقرات التي كتبها شاعر ايطاليا الكبير بترارك يستنهض همم قومه ويبثّ في نفوسهم الثقة والعزيمة .

يقول : « ماذا ؟ لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيباً بعد ديمستن ، واستطاع فرجليوس أن يكون شاعراً بعد هوميروس ، وبعد العرب لايسمح لأحد بالكتابة ! لقد جارينا اليونان غالباً وتجاوزناهم أحياناً ، وبذلك جارينا وتجاوزنا غالبية الأمم ، وتقولون إننا لا نستطيع الوصول إلى شأو العرب ! ياللجنون ! وياللخبال ! بل يالعبقرية إيطاليا الغافية أو المنطفئة . »

هذه الجمل القصيرة تكاد تصور أيضاً في العصر الحاضر الحالة النفسية عند الأساتذة والنقلة العرب حين يعمدون إلى تعريب المصطلحات الأجنبية لفظاً لفظاً أو نقل علوم الغرب إلى العربية أو ترجمة الكتب الأجنبية علمية وأدبية ترجمة سائغة . وقد صرنا نحن العرب اليوم في مرحلة تشبه المرحلة التي كان الغربيون فيها ينظرون إلى العرب على أنهم المتفوقون في شتى الميادين .

على أنه تجدر الموازنة بين حال العرب في العصر الحاضر وبين حالهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في إبّان الدولة الأموية حين عربّوا الدواوين وفي أواخرها حين بدأ اهتمامهم بترجمة الكتب الأجنبية وفي زمن الدولة العباسية حين اشتد ذلك الاهتمام إلى مدى بعيد .

ذلك أن استفادة الحضارات بعضها من بعض وانتقال الألفاظ والمصطلحات من لغة إلى أخرى أمر معروف منذ القديم . ثم إن الصروف الزمنية والمكانية قد تتشابه وقد تتغير . ومما لاشك فيه أن التغيرات التي حصلت في الوقت الحاضر كبيرة جداً . وقد تبدلت أحوال البلاد العربية تلقاء ماطراً من صروف اجتماعية حضارية . ونحن نلخص ملامح تلك التغيرات العالمية فيما يأتي ونرى أن هذا التلخيص هو الذي يصور في الواقع مشكلات الترجمة والتعريب التي تواجهها الثقافة العربية .

كان العرب في أوج سلطانهم وذروة تقدمهم حين تناولوا علوم الأقوام السابقة ليستفيدوا منها وكانت لهم لغة واحدة مبينة ينطقون بها ويكتبون عباراتها على اختلاف اللهجات البسيطة وتفاوت بعض المصطلحات المعاشية حسب أصقاع الوطن العربي الواسع . وقد أشار إلى هذا التفاوت البشاري المقدسي الجغرافي في مستهل كتابه العظيم « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » . أما اليوم فالبلاد العربية ليست في طليعة الركب الحضاري . وعلى الرغم من مواقعها الجغرافية المهمة وممكناتها البشرية الكبيرة وذكاء أبنائها المتفوق وغنى أراضيها تربة ومخزوناً تعصف بها عواصف سياسية تفرق بينها وتهدر قواها وغناها وتحول دون تجمع طاقاتها وتعاونها للحاق بركب الحضارة . ذلك ان التجمع قوة والتفرق ضعف . وعصرنا عصر التكتلات الكبيرة . والشعب المجزأ الصغير لايستطيع أن ينهض بالمهات الكبيرة الخطيرة حتى لو كان متقدماً . ولا شك أن صحة اللغة وسلامة بيانها في رأينا من المهات الخطيرة . إن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشعب السويدي في طليعة الشعوب المتقدمة وكذلك الشعب الهولندي . ومع ذلك فلغة كل منهما ولغة أمثالها لاشأن لها في مضمار اللغات العالمية وهي أشبه بلهجات محلية . والعالم الكبير أو الروائي الشهير في ذينكم الشعبين لكي يشتهر حقاً ويشار إليه بالبنان لابد من أن يكتب بلغة عالمية أو شبه عالمية أو يترجم إليها لكي يكثر قراؤه وتروج كتبه وتربو نسخ مطبوعها على الملايين . ولا شك أن اللغة العربية كانت لغة عالمية وهي اليوم تزداد أهميتها نظراً للاعتبارات الديمغرافية والاقتصادية والاستراتيجية . ولابد من ايلائها الاهتمام اللازم والارتفاع ببيانها ودقتها وصلاحيتها إلى مستوى رفيع . ذلك أننا نجد تداعياً في تعلّمها وتملك ناصية البيان فيها إلى جانب اللُّغَيّات العامية المنتشرة في الأقطار العربية . وهذه كبرى المشكلات التي تصادف الثقافة العربية الراهنة .

في العصر الحاضر تفاقمت المصطلحات وتعاظم أمرها في مختلف المجالات وكأنها أمواج سيول قوية تتدافع وتشتد وتغزو مختلف الأمم والبلدان وتدعو إلى التفهم والتأمل والتنسيق حتى يحسن نقلها والاستفادة منها كما يحسن الاستفادة من مياه السيول المتدفقة وتحامي عواقب تدميرها . إننا لانجد في عصر من العصور السالفة أن المصطلحات كانت تربو بجملتها في مختلف الميادين على مضمون هيكل اللغة التي يتكلم بها مجتمع من المجتمعات ، على حين نرى اليوم أن المصطلحات العلمية والتجارية والحربية والطبية والفلسفية والزراعية والكيمائية والفيزيائية وغيرها من العلوم والاختصاصات المتفرعة تتجاوز بمجموعها مجموعة مفردات اللغة التي يستعملها المجتمع في حياته وفي كتابة أموره اليومية المباشرة . وهذا أمر حديث يَسِمُ جميع المجتمعات متقدمة أو غير متقدمة ويقيم عقبات في نقل تلك المصطلحات من مجتمع إلى آخر وفي تنسيقها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا وإن لكل طائفة من تلك المصطلحات المتنوعة دوائرها الخاصة ومضمارها الذي يتوسع توسعاً عجيباً . كانت مفردات اللغة المشتركة عند قوم من الأقوام أقل من مفردات المصطلحات . ولكن الأمر قد انقلب في العصر الحديث إذ غدت تربو مفردات المصطلحات جمعاء على الألفاظ المتداولة في لغة البيان سواءً في التخاطب أو في الكتابة كما سلف آنفاً . ولابد تلقاء هذه الظاهرة من تبيان أسبابها . كثرة المصطلحات الاجنبية العلمية والفنية وغيرها مشكلة كبيرة تعرض للتعريب والترجمة العربيين . نجد بادئ ذي بدء تقدم العلوم الشاسع . لقد طفرت العلوم طفرات مدهشة في القرن العشرين ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية ، فأدّى ذلك إلى نشوء مواكب ضخمة من المصطلحات العلمية الحديثة .

وتبع تقدم العلوم تقدم التقانة او التكنولوجيا الهائل . فلقد اخترع الانسان كثيراً من الأدوات والسلع والمصنوعات وركب موادّ جديدة وسلك مناهج مبتكرة في ميادين النشاط العقلي والعملي لم يكن يعرفها أو يتصور بعضها من عاشوا قبل ذلك كآفاق الملاحة الكونية وبحوث الفضاء (عسكرية أو سلمية) واستغلال أشكال جديدة للطاقة وإمكان تحويل بعضها إلى بعض تحويلاً ناجعاً . كذلك سلك الانسان سبلاً جديدة في دراسة المادة والطاقة وفي تطبيقات الكشوف العلمية كالفيزياء النووية والكيمياء الحيوية والكيمياء الغذائية وكذلك زرع أعضاء الكائنات الحية ثم التفكير الآلي على طريق الحواسب الالكترونية وغيرها .

وكذلك نبتت أساليب جديدة رائعة بل جبارة في التعامل الآلي مع البيانات العددية والوصفية وتحليلها تحليلاً متنوعاً مفيداً . كل ذلك ولّد مايمكن دعوته أجيالاً من التصورات والمفاهيم عمد العلماء والاختصاصيون إلى إلصاق ألفاظ جديدة لم تكن مستعملة في اللغات التي حصل فيها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك المخاض . ولم تلبث لغات أخرى أن عمدت فدعت أجيال المفاهيم والتصورات الوليدة بأسمائها تلك أي اقتبستها أو بأسماء أخرى مناسبة لطبائع هذه اللغات وأساليبها .

ومن أسباب وفرة المصطلحات تقدم وسائل الإعلام . ذلك أن الإعلام الحديث يتسم بسمتين أساسيتين : الأولى أنه آنيّ بمعنى أن حدثاً ما كارسال قمر صناعي أو تكلئة رجال فضاء على كوكب كالقمر أو مدانـاة كوكب آخر وتصوير ملامحه أو ماشابه ذلك يذاع فور حدوثه إذاعة سمعية وبصرية . والثانية أن الإعلام غدا موجهاً للناس جميعاً لاللعلماء وحدهم . وترافق وسائل الإعلام هذه ظاهرة لغوية جديدة أيضاً ، وهي دخول طائفة من المصطلحات بين الجماهير . انسياب الالفاظ الجديدة حصل دائماً في تاريخ اللغات إلا أنه أشد مايكون اليوم لسعته وانتشاره . ومع ذلك فان المصطلحات التي تذاع وتشيع تفقد دقتها وحسن دلالتها بين الجماهير بالقياس إلى التصورات الدقيقة التي وضعت لها في الأصل . وعندئذ تفقد صفتها الجوهرية التي هي الدقة وتغدو بشكلها الجماهيري داخلة في إطار اللغة المشتركة بين الناس . ولا شك أن بين اللغة المشتركة ولغة المصطلحات ضرباً من العلاقة الجدلية ، علاقة العموم والخصوص وعلاقة المشاركة وعلاقة المشابهة وما إلى ذلك .

ومن أسباب وفرة المصطلحات وضرورة تنسيقها وضبطها ظهور منظمات عالمية متعددة بعد الحرب العالمية الثانية ذوات غايات ومقاصد مختلفة كمنظمة الأمم المتحدة بفروعها المتعددة ولاسيا اليونسكو ، وكحلف الأطلسي ، وحلف وارسو ، ولجنة دراسة الفضاء الكوني ، والاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة ، ورابطة الحقوقيين الديمقراطيين الدولية ، ووكالة الطاقة الذرية ، ومجلس التعاون الاقتصادي المتبادل أو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكوميكون ، والمصرف الدولي للتعاون الاقتصادي ، وجامعة الدول العربية بفروعها المختلفة ، وغير ذلك حتى إنَّ كتاباً جديداً ظهر في سورية بعنوان « الهيئات الدولية » . ولهذه الهيئات والمؤسسات غاية هي وضع قواعد للعلاقات الدولية . وهي قواعد أساس بعضها سياسي أو عسكري ولكنها اتسعت بالتدريج فشملت ميادين اقتصادية وثقافية وزراعية وصحية وعلمية وغيرها .

إن السياسات الموضوعة لهذه المنظمات التي تربط بعض الدول ببعض تسجَّل في وثائق متعددة اللغات . ويلزم من ذلك أن يكون محتواها من تصورات ومفاهيم واحداً ودقيقاً تتقابل وتتوازى في تلك اللغات المختلفة . ولهذا نشأت ضرورة تحديد معاني الألفاظ التي تفيد تلك المفاهيم والتصورات وضرورة تنسيقها بين لغة وأخرى سواء كان ذلك في السياسة العالمية أو القانون الدولي أو ماشابه ذلك . وعندئذ لابد من إرساء قواعد لوضع المصطلح ونقله من لغة إلى أخرى وتحري الدقة في النقل ، أي لابد من نشوء علم مصطلحي عالمي يسهل الانتقال من لغة إلى أخرى بين لغات الأمم المشتركة في كل منظمة زيادة على نشوء علوم مصطلحات خاصة في كل ميدان . فكثر العكوف على تنشيط هذه العلوم الحديثة على اختلاف مقاصدها وأغراضها . وهكذا ازدادت العناية لدى كل أمة بوضع مصطلحاتها وتنسيقها وتحديد دلالاتها والتغلب على العقبات التي تصادفها ، كما نشأت هيئات جديدة تعنى بهذه العلوم التي تسهل انتقال المصطلحات بين اللغات أو وضعها بعضها عالمي وبعضها إقليمي وبعضها وطني .

ومن دواعي وفرة المصطلحات وضرورة تنسيقها تقدم التجارة العالمية واتساعها فلقد كانت التجارة من القرن الخامس عشر الميلادي إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منتصف القرن العشرين تجري بين مجموعات يكاد يكون كل منها مغلقاً عن الأخرى بسبب السياسة والاستعمار . كل مجموعة ذات وحدة تتألف من الدولة المسيطرة السائدة ومستعمراتها ومحمياتها . فاللغة السائدة إذ ذاك لغة الدولة ذات السيادة . ثم ظهرت منذ منتصف القرن العشرين قوى ضخمة وبلاد صناعية متقدمة أو ذات أهمية تجارية لغاتها جد متقاربة كالاتحاد السوفياتي واليابان والصين ومجموعة البلاد العربية بحيث ازدادت أهمية لغات تلك البلاد إذ يطلب كل منها أن تكون لغته معترفاً بها وأداة تكتب بها العقود والاتفاقات . ومن المعلوم تعاظم مكانة البلاد العربية في التجارة العالمية فاقتضى هذا التعاظم معرفة اللغة ذاتها لالغة الدولة ذات السيادة السابقة . كذلك في مجموعة الدول الأوربية الاثنتي عشرة كل دولة تطلب أن تكون لغتها معترفاً بها في المجموعة . وهذا كله يستلزم وضع مصطلحات جديدة حسبما تقتضيه العلاقات والعقود والاتفاقات . بعض الدول كليبيا مثلاً تصرّ في إبرام العقود بينها وبين الدول الأجنبية على أن يكون النص العربي هو المعتمد الأول . ولهذا لجأ بعض الأوساط المصرفية والعمرانية في بلجيكا وأمثالها إلى تجميع المصطلحات المصرفية في البلاد العربية ونَخلها وغربلتها إن جاز هذا التعبير لاعتماد مصطلحات مصرفية عربية دقيقة في هذا المجال . وهذا كله يقتضي التنسيق بين مصطلحات اللغات المختلفة في الميادين المتفقة بحيث ينبغي للمصطلحات أن تكون متقابلة ماأمكن تقابل الواحد للواحد كما يقال في الرياضيات .

ومن بواعث وفرة المصطلحات وضرورة تنسيقها بروز الشركات المتعددة الجنسيات واستفحال مكانتها . وهو حدث جديد يتوطد وتقوى سيطرته الاقتصادية بحيث لاتقف أمامه لغة ولا حدود . وهذا يوازي تفاقم التجارة العالمية التي تشارك فيها هذه الشركات أعظم مشاركة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويتطلب أعضاء هذه الشركات المتعددة الجنسيات تنسيقاً دقيقاً بين مصطلحات لغات الدول التي تنتسب إليها .

وعلى الرغم من المكانة الفردية لكل لغة وخصائصها المتميزة لابد من شمولية المصطلحات في مختلف الشؤون ولاسيا الشؤون الاقتصادية ومن التنسيق الذي غدا مبرماً بحيث تغدو غالبية هذه الشؤون أيا كانت كالمساكن مثلا ووسائل المواصلات وسلع التجارة بأنواعها حتى الفنون والثقافات متوازية ومتساوقة ، وبحيث تميل العادات وانماط المعيشة والانتاج والاستهلاك ونحلها واساليبها إلى التقارب ، وبحيث تتوحد أجهزة القياس ووحداتها . وتتحمل هيئة المواصفات والمقاييس العالمية وماتضمّه من هيئات إقليمية ووطنية تبعات التنسيق والتنظيم . ولابد من التنويه بهيئة المواصفات والمقاييس العربية وفروعها في البلاد العربية .

لاشك أن كل دولة مسؤولة الى مدى بعيد عن لغة أبنائها والحفاظ عليها . فلغة الأمة أهم مقومات شخصيتها وهي وطنها الروحي وسجلّ معارفها وعلومها وأمجادها كما أن الأرض وطنها المادي . ولذلك تعمد كل أمة إزاء سيل المصطلحات المتدافع في الميادين المختلفة وإزاء تداخل عناصرها واختلاط دلالاتها إلى كفكفة هذا الاضطراب وحصره وتقليله وإلى التنظيم والتنسيق بعقد الندوات ، ونشر البحوث ، ووضع المعجمات ، واقتراح القواعد والأساليب في ذلك . وقد أشرنا آنفا إلى نشوء علم المصطلح . واشتد نشاط العاملين فيه حتى إنه ليصح تصنيفهم في مذاهب أو مدارس كالمدرسة الألمانية النساوية والمدرسة السوفياتية والمدرسة التشيكسلوفاكية والمدرسة الكندية الكويبيكية . وثمة نشاطات متفرقة في ميدان هذا العلم كما في انكلترة وفرنسة والولايات المتحدة واليابان والصين ـ ولكل من هذه المدارس اتجاهات متمايزة وسبل في نقل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

المصطلح أو وضعه يكاد يتمم بعضها بعضاً . هل يوضع المصطلح أو ينقل وفق قواعد آلية عامة أو تراعى طبيعة اللغة المنقول اليها المصطلح . وثمة بعض الهيئات التي تعنى بهذا العلم كمؤسسة المصطلح الاعلامي أو انفوترم Infoterm التي مركزها فينا والتي أنشئت عام ١٩٧١ بعقد بين اليونسكو ومعهد المواصفات والتقييس النساوي . وقد عمل هذا المركز على إنشاء شبكة مصطلحات عالمية Termnet تضم مختلف الهيئات التي تعالج المصطلح من امريكية وانكليزية وفرنسية والمانية وروسية وصينية ويابانية . وقد التحق بها ألكسو العربية والمعهد القومي للمواصفات في تونس .

إذا كان الأمر كذلك في اللغات الحديثة المتقدمة التي تتولد فيها المصطلحات وتنبت نباتاً كثيفاً فانا ندرك الصعاب والعقبات الكثيرة التي تعرض للغة العربية في العصر الحاضر . وقد أفاق أبناؤها وشعروا بتقدم ركب الحضارة الانسانية في شتى المجالات وفي مختلف الميادين وخاصة تلقاء مواكب المصطلحات الاجنبية الغزيرة التي تتدافع على ساحات الفكر العربي والتي تقتضي النقل والتعريب والترجمة . وتتبدى شدة الحاجة إلى هذا النقل في التعليم العالي ولاسيا في مجال العلوم الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة كما تتبدى في مجال العقود والتجارة والاتفاقات الثقافية والسياسية والصناعية وغيرها من مرافق الحياة الراهنة .

تجاه هذه الكثرة الكاثرة من جموع المصطلحات وأسرابها ومن نطاق المصطلحات المتخصصة في كل ميدان تعتمد الدول العربية مراكز تتعامل مع هذه المصطلحات ودلالاتها وميادينها . ويأتي في طليعة هذه المراكز اتحاد مجامع اللغة العربية الذي يتألف من مجمع دمشق ومجمع القاهرة ومجمع بغداد ومجمع عمان إلى جانب مجامع قيد المخاض كمجمع الجزائر ومجمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المملكة العربية السعودية ، كما يأتي في الطليعة مكتب تنسيق التعريب بالرباط . ولهذا المكتب مكانة مرموقة في هذا الشأن إذ أصدر معجمات كثيرة في شتى العلوم والفنون ومرافق الحياة وهو لا يزال ماضياً في هذا المضمار . ولكن قصاراه تجميع المصطلحات المتداولة أو المقترحة وعرضها في ندوات خاصة لاختيار الصالح منها والتصويت عليه . وقد يغيب عن هذه الندوات المختصون الأكفياء لسبب من الأسباب .

وهنالك معهد بورقيبة للغات الحية في تونس ومركز الأخضر غزال في المغرب ومركز عبد الرحمن الحاج صالح في الجزائر..

ثم ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عازمة على إنشاء « المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر » ربما يسد في المستقبل فراغاً كبيراً في هذه الآفاق .

وهنالك الجامعات العربية . بيد أن القليل منها يدرس بالعربية . ولاشك ان تعريب التعليم العالي مرحلة مهمة في تحقيق الأصالة الثقافية العربية وتوطيدها وفي نقل روح العلوم والفكر العلمي والبحث الاصيل إلى الوطن العربي وهو يتلافى مشكلات كثيرة في تعريب المصطلحات والترجمة والتأليف بالعربية ولكنا ننعى على الجامعات التي تدرس بالعربية تهاونها بهذه اللغة وانحدار التعليم فيها إلى اللحن والركاكة والعامية والبعد عن البيان العربي الصافي الواضح على خلاف ماكان الأمر عليه حين بدأ التدريس في مستهل هذا القرن على أيدي أساتذة أكفياء ملكوا نواصي علومهم كما ملكوا ناصية البيان العربي . كذلك ننعى تشتت المصطلحات بين هذه الجامعات بل في الجامعة الواحدة بل ناهيك تشتتها في القسم الواحد من الدراسات . على أن في التدريس بالعربية هنوات أخرى يصعب عرضها في هذا الحديث الموجز . ولكن جميع هذه الهنوات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ربما تكون باعثة على النظر فيها وعلى تلافيها في المستقبل . وإلا قلّت الفائدة من هذا التدريس وكثرت الفائتة فيه .

وثمة أيضاً وحدات الترجمة العربية في فروع منظمة الأمم المتحدة . ونريد أن ننوّه هنا بوحدة الترجمة العربية في اليونيدو (ڤينا) . فقد وضعت دليل المترجم مع دراسات في اللغة ونظريات الترجمة في سفر ضخم عام ١٩٨٤ ثم جددته فنشرت دليل المترجم مع التركيز على منظومة الأمم المتحدة في ثلاثة أسفار ضخمة عام ١٩٨٧ . ولاشك أن مثل هذا العمل الواسع جدير بالبحث والثناء والتقريظ .

وينبغي ألا ننسى مكانة الشعب والعمال وغيرهم من أهل الصنائع ونحل المعاش إذ قد يرتجلون مصطلحاً يشيع ويغدو صالحاً للدلالة على شيء من الأشياء أو أمر من الأمور . ومع ذلك فالفوضى ضاربة الأطناب في كثير من مرافق الحياة . نحن هنا نتحدث من وجهة نظر عربية . فالذي يتفحص مفردات أجزاء السيارة مثلاً في دمشق وبغداد ومصر والجزائر وغيرها يجد مفردات عامية جد متباينة فلايكاد المرء يفهم زميله إذا كانا من بلدين عربيين مختلفين وزاولا أو مارسا أمراً واحدا . بل أكثر من ذلك لايستطيع الأستاذ في الجامعة أن يفهم زميله إذا كانا من جامعتين مختلفتين وعالجا موضوعاً هو من اختصاصهما معالجة عميقة . بل ربما آثرا التحدث بلغة أجنبية . بَيْدَ أن هذه الفوضى تتوارى أحياناً حين توضع معجمات متخصصة . وقد كثرت هذه المعجمات المتعددة اللغات والتي من لغاتها العربية وهي تحتاج إلى الشيوع والا عتماد . نذكر من أواخرها المعجم الطبي الموحد والمعجم الديمغرافي المتعدد اللغات ومعجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة الذرية الذي عربته هيئة الطاقة الذرية في سورية عام ١٩٨٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولكن الحياة الفكرية في تجدد دائم ولابد من تناول هذه المعجمات في الحين بعد الحين واضافة ماقد يطرأ من جديد أو مايطرأ من تبديل .

ثم إن وضع المعاجم الموسوعية خاصة والموسوعات عامة مراحل مهمة في وضع المصطلحات ونقلها وفي تنسيقها وتوحيدها . وانا لنحيي أجمل التحية من سبق اليهم التفكير في وضع معجم موسوعي كمعجم العماد والموسوعة العربية بدمشق والموسوعة العربية ببغداد . ولابد لأمثال هذه المعجمات الواسعة من أن تؤتي ثمارها الطيبة في توحيد المصطلحات وتيسير تناولها وفي نشر العلم والثقافة على أوسع نطاق .

لقد عقدت ندوات إقليمية متعددة في البلاد العربية لتذليل مصاعب النقل المصطلحي والتغلب على عقبات التعريب والترجمة وانتهت إلى توصيات جيدة تنير الطريق في أساليب وضع المصطلح أو نقله وترجمته وتوجه العمل الشاقّ في هذا الصدد . ولكن هذه التوصيات مازالت آثارها ضئيلة وحبراً على ورق لقلة متابعة إنجازها وندرة الأشخاص المسؤولين عن المتابعة في هذه الميادين وعدم تفرغهم إلى جانب التداعي في تعليم اللغة العربية وعدم إتقانها .

لاريب في أن معالجة المصطلح تتطلب الاضطلاع بثقافة واسعة في اللغات الأجنبية والعربية والاطلاع ماأمكن على موضوعات العلم الذي يراد نقل مصطلحاته ومراجعة المعاجم العربية المتخصصة وقد أصبحت متعددة وإن لم تكن كافية واستشارة معاجم المعاني الواسعة في اللغة العربية ولاسيا المخصص لابن سيده ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس وكتب ابن جني ، وكذلك الاستناد إلى أصول اللغة العربية في الصرف والاشتقاق والنحت والقياس والمجاز والتخصيص بعد التعميم وما إلى ذلك مما هو معروف . وتقع التبعة الكبرى في ذلك على مجامع اللغة العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التي انما أنشئت لهذه الأغراض والتي هي تحاول النهوض ببعض تلك الأعباء في أحوالها الراهنة .

إن حل مشكلات التعريب والترجمة لايحصل إلا باتقان اللغة العربية الفصحى السليمة والتدريس بها في جميع المراحل ابتدائية وإعدادية وثانوية وجامعية والتخلي ماأمكن عن اللغة العامية التي هي جد فقيرة والتي لاإملاء لها ولاقواعد . وأحب أن أبدي رأيي في مجال تعليم اللغة العربية وهو أن محاولة تيسير اللغة العربية وتسهيل أصولها من نحو وصرف محاولة مخفقة لأنها تؤدي إلى التردّي والتراخي والتفاهة والركاكة . نحن نؤثر الصعوبة والعقبات لأنها تشحذ العزائم وتشد الانتباه وتتحدى الارادة المتوثبة . ولابد في ذلك من اعتماد التراث العربي الأصيل . إن الانكليز مازالوا متشبثين بشعر شكسبير مع أن لغتهم الدارجة تختلف عن لغته وان الفرنسيين مازالوا متمسكين بقراءة كورني وراسين وموليير مع ان تراكيب لغتهم العصرية قد تغيرت . وذلك كله حفاظاً على خصائص اللغة ماأمكن وعلى نماذج البيان الأصيلة وعلى تراكيب التعبير السليمة المفيدة . فلا حاجة مثلاً لأن نكتب لأطفالنا الصغار في كتب القراءة الابتدائية « زرع فريد فولاً وقطف ملفوفاً » . إن ذلك يزرع التفاهة ويقطف الركاكة ويُعتاد فيه الكسل والتراخي . أتذكر أنا كنا في الصف الرابع الابتدائي نعتمد كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي للقراءة . وما أظن ان متخرجاً في كلية الآداب يستطيع أن يقرأ بسهولة هذا الكتاب . ولم يحل هذا الكتاب القديم دون تقدمنا في شتى المناهج .

وهكذا يبدو من مشكلات التعريب والترجمة إلى جانب وهن البيان العربي الراهن قلة التواصل مع التراث العربي الواسع بميادينه المختلفة وعلومه الزاخرة المتفاوتة . هنالك انقطاع واضح بين تلك العلوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والميادين وأمثالها في العصر الحاضر . والغريب أن اساتذة العلوم في الأقطار العربية قد يتقنون اختصاصاتهم التي تعلموها في الغرب أو في الشرق ثم إذا أرادوا ان ينقلوها إلى العربية أو يكتبوا بحثا علمياً فيها ضاقوا حرجاً وأعوزهم البيان وغدت كتاباتهم مبهمة مستغلقة . وفي رأينا ان ذلك راجع إلى قلة ممارستهم للبيان العربي الأصيل وندرة مطالعة الكتب التراثية القديمة التي عالجت أمثال تلك الموضوعات مع إقرارنا بالتغير الكبير الذي طرأ على هذه الموضوعات أنفسها . لقد غاب عن أذهانهم بانقطاعهم عن التراث وعن كتبه وقضاياه ومصطلحاته نماذج البيان العربي الأصيل وأساليب التعبير الدقيق فيه . هل نضرب مثلاً على ذلك يبين ضرورة التدقيق في البيان العربي الموجز ؟ قولنا زيد أحب إليّ من عمرو يختلف معناه عن قولنا زيد أحب لي من عمرو . إن دارس اللغة الانكليزية يتقيد بحروف الجر التي يستعملها مع الفعل في بيانه ، على حين نجد عند الكاتب العربي تحللاً من مثل هذا التقيد فتغيم عبارته وتسقم وتبهم مع أنه يريد الإفصاح . ربما يجدر أن نذكر مثلاً آخر يختلف فيه المعنى بمجرد تقديم لفظ على آخر كقولنا : انما حضر الندوة امس زيد ، وانما حضر زيد امس الندوة ، وانما حضر زيد الندوة أمس . كل جملة من هذه الجمل تفيد معنى غير معنى أختها . إن اللغة العربية مشهورة بالإيجاز والدقة . نقول مثلاً استكتبت فلاناً بدلاً من طلبت اليه ان يكتب ونقول : ما أدري هل ذهب زيد بدلاً من قولنا ماأدري فيما إذا ذهب زيد أو لم يذهب . لقد انساب كثير من تعابير اللغات الأجنبية الركيكة فكدرت صفاء البيان العربي . لقد بذلت جهود جبارة منذ أن أفاق العرب على مكاسب المدنية الحديثة في تعريب المصطلحات وفي ترجمة العلوم والآداب وذلك في أواخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن

شبكة الألوكة
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العشرين ، ومن يقرأ في الوقت الحاضر ماترجم في ذلك العهد من الكتب العلمية والروايات الأدبية حتى الشعر يعجب كيف استطاع المترجمون ترجمتها ونقل مصطلحاتها بلغة عربية مبينة واضحة ودقة كبيرة ، حتى إن العلماء الأجانب استطاعوا في مدة يسيرة أن يتعلموا اللغة العربية وأن يغدوا أصحاب بيان سليم في الميدان العلمي . هل نذكر مثلاً العالم الأمريكي كرنليوس فان ديك الذي علم في الجامعة الاميركية ببيروت وكتب كتباً علمية سليمة التعبير دقيقة الدلالة سائغة الفهم في الفلك والفيزياء وغيرهما ؟ أو نذكر أيضاً مثلاً في التأليف والترجمة أسماءً لامعة في كليتي الطب والحقوق قديماً بالجامعة السورية . إن الذي يقرأ كتب أحمد حمدي الخياط ومرشد خاطر ومحمد جميل الخاني وفارس الخوري وأمثالهم يقرأ نصوصاً سليمة لاعوج فيها ولا إبهام ولا لكنة ولا ركاكة بل ليكاد يتعلم البلاغة منها . ولكن الأمور تغيرت في هذه الأيام فلا نكاد نطالع كتاباً أدبياً أو علمياً مؤلفاً في الوقت الحاضر أو مترجماً أو مجمعاً تجميعاً عشوائياً الا وتطالعنا فيه اللكنة والابهام والاعوجاج وعامية وضيعة ومصطلحات غريبة ناشزة . قد يقال ان العلوم والآداب قد اتسعت . نعم ! ولكن لكل عصر علومه ولغته . ولاشك أن رواد الترجمة والتأليف كانوا على قدر كبير من إتقان لغتهم وتصريف بيانها وتواصل دائم مع التراث العربي المؤثل التليد . ومع ذلك فقد اتسع الخرق على الراقع .

إن بلداً صغير الحجم كبير الشأن كسورية لايستطيع أن ينهض وحده بأعباء النقل والتعريب والترجمة الراهنة تلقاء سيول المصطلحات والمعلومات والمعطيات ولكنه يستطيع أن ينهض بقسط كبير من تلك الأعباء . وهو يحتاج دائماً ، شأنه كشأن البلاد العربية الأخرى ، إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

التعاون مع إخوانه في هذه الميادين وكذلك إلى ضرورة تسهيل دوران الكتاب العربي ولاسيما التراثي بين أبناء هذه البلاد أي لابد من التقارب بشكل من الأشكال بين الأشقاء العرب، وفي هذا التقارب حل كبير وتنسيق لمشكلات التعريب والترجمة كما فيه تنسيق وحلّ لشؤون كثيرة .

كتب المستشرق السوفياتي كرتشكوفسكي في مقدمة كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » يقول : « إن المكانة المرموقة التي تشغلها الحضارة العربية في تاريخ البشرية لأمر مسلم به من الجميع في عصرنا هذا . وقد وضح بجلاء في الخمسين عاماً الأخيرة فضل العرب في تطوير جميع تلك العلوم التي اشتقّت لأنفسها طرقاً ومسالك جديدة في العصور الوسطى ومازالت حية إلى أيامنا هذه أعني علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجية والجيولوجية . أما فيما يتعلق بالأدب الفني العالمي فان العرب قد أسهموا فيه بنصيب وافر يمثّل جزءاً أساسياً من التراث العام للبشرية ، كما امتد تأثيرهم كذلك إلى عدد كبير من المصنفات والفنون الأدبية التي نشأت في بيئات غير عربية » .

إن قوماً كان لهم السهم الأوفر والقسط الاكبر في العلوم والفنون وبناء الحضارة الانسانية لحقيقون أن تشتد عزائمهم في مجابهة الصعوبات واقتحام العقبات وأن تعود لغتهم المطواع العظيمة إلى سابق مجدها وسالف فخارها وواسع عطائها ووافر غنائها . أولا يحق لنا في ختام هذا الحديث أن نتغنى ولو لماماً بمحاسن هذه اللغة المعطاء :

لساننا في حسنها كالجمان ... خالدة الأركان وجه الزمان
كل لغات الأرض مهما تكن ... قاصرة عن شأوها في البيان
عُلوية المنشأ قدسية ... راسخة آساسها في الجنان
ترى المعاني بين ألفاظها ... برّاقة مثل الدراري الحسان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ريحانة الأنفس في المنتدى ... سيدة الألسن عند الرهان
صانت علوم الأرض في حينها ... لنعم ما صانت ونعم الصوان
أخت الجديدين ولكنّها ... إن قَدُما فهي الكعاب الرزان
قيثارةٌ أصداء ألحانها ... في الشرق والغرب وأقصى مكان
فيالها معشوقة سكنت ... روحي وعظمي وسواد الجنان
تيّمني منذ الصبا حبها ... فزانني ذاك الهوى حين زان
كم ساهرت عيناي نجم الدجى ... ورقّ لي في سهري الفرقدان
لم يعتلج في خلدي خاطر ... إلاّ وقد كانت له ترجمان
وكل شأوٍ لَمْحُه غامض ... يبرزه التعبير نصب العيان
في السرّ والجهر ونجوى المنى ... والفكر والدين لها أي شأن
مهما طغا الدهر أخيراً فما ... مَسَّتْ مجاليها يد للهوان
أبناؤها ناموا طويلاً فهل ... آن لإيقاظ النؤوم الأوان
لابد من يوم به تعتلي ... أيضاً سنام المجد والصولجان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net